مجلة المهاجر

العدد : ٢١١ الموافق في ربيع أول ١٤٢٠ هجري ٧ / ١٩٩٩ ميلادي

عنوان المقال : الهجرة والمهاجر إلى أين ؟	بقلم : ماجد رسلان

الهجرة هجرتان إلى الله عزّ وجلّ :

هجرة حركية - بزمن معين إلى مكان معين - بدين الله من بلد الظلم ، وإن كان مسقط الرأس للتخلص من تسلط الطواغيت ، وعدوان الفراعين ، وفكِّ الحصار عن الدين ، إلى بلد يجد المهاجر فيه الاستقرار والأمان ، والسكينة والإطمئنان ، كي يستطيع أن يحقق أداء ما افترض عليه من أمانة التكليف والتبليغ تجاه دينه ، واجتناب ما نُهي عنه تجاه نفسه ، دون خوف وقلق ، أو مصادرة ورَهَق ، وكي تكون الدعوة إلى الله قائمة على بصيرة ، بعد أن أصبح آمناً في سربه الجديد ، ليصل هذا الدين المنجد إلى كل الآفاق وكل الناس غضاً طرياً كما تنزل من قبل أربعة عشر قرناً ، هداية وإرشاداً ، وسعادةً وإسعاداً ..

وهجرة نفسية شعورية تتعدى الزمان والمكان ، وهي خروج أيضاً بدين الله ولكن من تسلط الشهوات المُرديات ، ومن طغيان المعاصي المهلكات ، والنأي عن مزالق الجدل والهوى ، ومنحدرات التقليد الأعمى ، وللتحرر من نزعات الشيطان الغدار الذي أمر الله بعداوته ما دام ليل ونهار .. قال تعالى : { **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً ، إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير** } [فاطر : ٦] هذا اللعين الشارد الفاتك الذي يلاحق الخير بالشر ، والحق بالباطل ، والعمران بالخراب ، والإسلام بالجاهلية...في كل زمان ومكان ، وفي كل طرفة عين وتردّدِ نفس لا يعرف التعب ولا النصب ، ولا يشغله يأس ولا يصده قنوط .. بل عمله دؤوب ينشر الدمار والخراب وإهلاك الحرث والنسل ، فسعادته وهناؤه بإغواء أهل الإستقامة والصلاح وإغواء أهل التقى والفلاح . وكيف يطمئن إلى الملل ويركن إلى الكلل ، وهو الذي أقسم بعزة ربه حين قال { **فبعزتك لأغوينهم أجمعين ..**} [ص : ٨٤] وقوله : { **قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين** } [الأعراف : ١٦-١٧]

فهذا الشقي يظن بغباوة عقله وفساد طويته أنه يبُرُّ بقسمه ويفوز بمأربه للنيل من القانتين التائبين العابدين السائحين .. الذين قال لهم ربهم : { **وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** } [الأنعام : ١٥٣]

فالهجرة النفسية التي معها هجرة الفكر والعقل والتصور ، لا تقل أبداً عن الهجرة الحركية الزمانية

والمكانية بل هي أشد وأقسى ، وتكاليفها أغلى ، وضريبتها أنكى ، وبخاصة في زمن التردي في العفن والسقوط في التّتن ، حين تستحكم الفتن ، وينتشر الصد والإعراض عن دين الله بتسلط الشبهات ، وتكاثر المغريات ، والنبي القائد ﷺ الذي استشرف الغيب بأشعة الوحي قد أنبأ وأرشد إلى مضمون الهجرة النفسية بقوله : " المهاجر من هجر ما نهى الله عنه " ولما سأله سائل : يارسول الله أي الهجرة أفضل ؟ أجابه : " أن تهجر ما يكرهه ربك ! " والهجرة النفسية تبدأ بالنية والهمِّ الصادقيْن .

ابنَ الإسلام .. خذ هذه القاعدة التوجيهية وأسقط عليها كل شيء يكرهه ربنا سبحانه وتعالى فإنك لن تخطئ الهدف ولن تنحرف عن السبيل القويم ، وسيكون معك من الله برهان ونور مبين ، بأن الهجرة النفسية ينبغي أن تكون قائمة كحد الحسام ، ومستمرة بالروح والعقل والإرادة والفعل ، والنية الصالحة بالقلب المنيب ، لأنها تقودك إلى النجاة في الدنيا ، والفوز بالآخرة ، وأنها تنجيك من فتن شياطين الإنس والجن ، التي لا تفتأ تغري بكل زخرف ، وتفتن بكل إغراء ، وتزحزح عن الهدف بكل وسيلة وعرض عاجل ..

ولهذا كان الرسول ﷺ يُنبه لمخاطر الطريق من أوابده القاتلة ولأوائه المهلكة .. " إن من ورائكم أياماً الصبر فيهن ، كالقابض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين . قالوا يارسول الله ، أجر خمسين منا أم منهم ؟ قال : بل أجر خمسين منكم " [الصحيحة ٤٩٤] .إذن صبر ومصابرة ، ودفع ومدافعة .. له الأجر والثواب وحسن المآب من الكريم التواب .

والصبر صبران : صبر على طاعته سبحانه ، وصبر عن معصيته ، فلا بد من إدراكهما والفوز بهما ، وبخاصة أيام التحدي المرير وتكالب الأعداء على القصعة ، وتفاقم الشر والسوء وزحف الفتن ، وتطاول أعناق البلايا ، وخفوت صوت أهل الحق وتواريهم هنا وهناك خشية الأذى بالنفس والمال والولد .. ولهذا نجد الرسول ﷺ ينادي المؤمنين الصابرين الصامدين أن يظلوا في حمى الرحمن ورعايته ، وحفظه وكلاءته ، ويهتف بهم أن يلازموا خطوات هذه الهجرة بدقة ثابتة ، ويحاذروا منعطفات مطباتها ببصيرة نافذة ، فيقول مبيناً ومحذراً : " الهجرة هجرتان : هجرة الحاضر وهجرة البادي ، فهجرة البادي أن يجيب إذا دعي ، ويطيع إذا أمر ، وهجرة الحاضر أعظمها بلية وأفضلها أجراً " [الصحيحة ١٤٦١]

أنظر أخي المهاجر تجلية الصورة من أبي القاسم . وكشف حقيقتها وحقيقة العائشين في البادية حيث وفاضهم خالياً من كل إغراء وزخرف ، بينما نجد العائشين في المدن والحضر تعج من حولهم فتن

ومشكلات ومغريات ولا ينقطع مددها ، ولا يهدأ لهيبها .. فهم في حاجة مستمرة إلى روح وريحان من الهجرة النفسية والروحية ، ففيها الري والزاد وفيها الملجأ والملاذ .. وهذا لن يرومه أولو الألباب إلا بإسلام الوجه والقلب لله عز وجل وإسلام الظاهر والباطن ، وإسلام القول والفعل ، وإسلام النية والعمل .. إسلاماً خالصاً نقياً من كل مَد وجزر ، مع كل إيجاب وسلب ، مع كل أمر ونهي .. ولقد علمنا المربي والقائد ﷺ بقدوته الفذة ، وأخلاقه المثلى .. وسلوكه الأرشد ، كيف تتأتى هذه الهجرة بالسمع والبصر والفؤاد بتوفيق الواحد الأحد المعين .. حين علمنا أن ندعوه " اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت ".

إن الصلة الحبيبة برب الأرباب لا يتذوقها المؤمن إلا إذا كان في وسط المعامع مجالداً ومجاهداً في سبيل ربه ، ومن أجل دينه ، فمواجهات التحدي تستخرج منه أقصى طاقات القوة واليقين ، دون هيبة من حاقدين ، وإن القرب من الباري عز وجل لا يدرك حقيقته إلا إذا كان ثابتاً في مرابطته على الثغر الذي اختاره له قدر الله وهيأ له أسبابه دون أن يؤتى أحد بأي مكروه من قِبله . وهذه الصلة وهذا القرب ينأى به عن اجتيال الشياطين واحتيالها ونزغها السموم الذي يعصف بريح عقيم لتحويل الخطى عن الطريق القويمة والفطرة النقية ، والدعوة الرضية والعبادة الزكية .. بل يجعل المؤمن عصياً على كل انكسار ، أو هزيمة واندحار ..

يروي لنا رسول الله ﷺ عن ربنا سبحانه في حديث قدسي قوله : " إني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً " [مسلم]

إذن لا بد من الحفاظ والمحافظة على الطريقة المثلى للحنيفية السمحة من اجتيال الشياطين من الإنس والجن ، لكي تبقى شرعة الله على ألقها وطهرها ، وتبقى سجايا النفس المؤمنة على حصانتها في عقيدتها ، وحصافتها في دعوتها .. ولتحقيق المأمول هو باتباع ما ألمح إليه الرسول ﷺ فيما خرجه الطبراني في الكبير عن فُضالة بن عبيد حيث قال : " الإسلام بيت واسع فمن دخله وسِعه ، والهجرة بيت واسع فمن دخله وسعه ، ومن دعي إلى الإسلام فأسلم ، ودعي إلى الهجرة فهاجر ، لم يدع للخير مطلباً ولا للشر مهرباً " .

أنظر أخا الإسلام بعين البصيرة إلى كلام أفصح من نطق بالضاد فستجد إيجابيات التربية بأجمعها

صغيرها وكبيرها ، وسلبيات العزلة النفسية والشعورية بكل درجاتها قريبها وبعيدها ، وسبر أعماق الباطن والروح ، ومعرفة درجة الإقبال والإدبار ، ومقياس مسافات الكر والفر ، وحلاوة الحب والبغض ، واستجابة البذل والمنع ، وميزان الخفض والرفع ، وسبيل الدنيا والآخرة .. ستجد كل هذا وغيره في هذا التوجيه السديد ، والكلام الأريب فما أشد الحاجة له ، وما أحلى الرجوع إليه كلما حزب أمر ونادى المنادي حي على الجهاد والجلاد .. ولله درُّ الحسن البصري رحمه الله حين قال : " رحم الله عبداً وقف عند همِّه فإن كان لله مضى ، وإن كان لغيره تأخر "

فهل وقف صفوة الصفوة من حملة دين الله إلى العالمين عند موضوع الهجرة النفسية موقف الممحص لكل ما فات من أعمال وأفعال وأقوال ، وغربلة ذلك بميزان الله عز وجل ؟!

وهل كان كل واحد صادقاً مع نفسه حينما كان يدعو ربه ويناجيه بالليل والناس نيام : " اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرَد ".

فالأدب مع الكبير المتعال ، والخشية منه ، والحب له والعبادة كأن المؤمن يراه فإن لم يكن يراه فهو يراه يقتضي من المؤمن الأريب أن يقف من نفسه موقف المصلح والناصح ، موقف المذكر والمحاسب قبل أن يسأل ربه ما ليس به أهل ، وإن مغل قبل هذا فلعمر الحق هي الرقاعة وقلة الحياء .. ولله درُّ ذلك النجيب حين خاطب نفسه قائلاً : " يانفس .. أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب ، وأن الموت يأتي بغتة من غير موعد حيث أن كل نفس من الأنفاس يمكن أن يكون فيه الموت فجأة .."

يانفس .. إن كانت جرأتك على معصية الله تعالى لاعتقادك أنه لا يراك فما أعظم كفرك ، وإن كانت مع علمك باطلاعه عليك فما أشد وقاحتك ورقاعتك " ولله درُّ العارف بالله حين قال : " من علامة إعراض الله عن عبده أن يشغله بما لا يعنيه ، والأدب أدبان : أدب السر وأدب العلانية ، فأدب السر طهارة القلوب ، وأدب العلانية حفظ الجوارح من الذنوب !! " وما أعذب هذا القول : " الموت سهم موجه إليك أجلك فيه بقدر وصوله إليك "

أخي المهاجر أينما كنت ، وحيثما توجهت وأنى هاجرت ، الهجرة الزمانية المكانية أم الهجرة النفسية الشعورية ، أذكرك توجيه رسول الله ﷺ : " من أصلح سريرته أصلح الله علانيته " " اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " [الترمذي]

فهذا كفيل إن تحقق اعتقاداً وسلوكاً وأخلاقاً أن تكون دائم الهجرة والترحال إلى ربك حتى تلقاه وهو

عنك راض غير غضبان .

وحذار حذار أن تضيع منك هذه الهجرة أو تلك ، وتخلد إلى راحة وزينة دار حياة الفناء ، وتنسى ما هاجرت من أجله ، وما خرجت في سبيله ، فتستهلك أطماع الدنيا الدنية ، ويعتلي القلب الران ، وتعشي الجهالة البصر والبصيرة ، وتجمد العين وتتبلد الأحاسيس .. حتى يأتي الموت بغتة ، أو ترد إلى أرذل العمر لكي لا تعلم من بعد علم شيئاً ، فيكون الحال والمآل { **كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب** } [النور : ٣٩]

وما إخال المؤمن المهاجر اللقن يغيب عنه موقف الحساب والمحاسبة في الآخرة وهو في الدنيا دخيل وطارئ لأداء مهمة ليس إلا ، وهو يسمع قول الله عز وجل في محكم كتابه : { **والذين هاجروا في سبيل الله ثم قُتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين ، ليُدخلنهم مُّدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حليم** } [الحج :٥٨-٥٩]

جعلني الله وإياك من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .